

فرحان باقر الأستاذ الأب الطيب الصديق!!

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiPrFarhanBaker.pdf>

د. صادق السامرائي

أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com



أجدني ملزما بشيمة الوفاء أن أكتب عن الأستاذ الراحل فرحان باقر الذي وفاه الأجل المحتوم في 2017\10\18.

وربما سيعجب أو سيغضب ما سأكتبه فلكل إنسان أصيل نابه حصيد أصدقاء وأعداء , ومُحبون وكارهون , لكن الجوهر الحقيقي والروح الطيبة والعطاء النزيه يترسخ في النفوس والقلوب والضمائر , ويبقى الإنسان بما يكنزه من أفيض المعاني وصور التسامي وآيات التسامح والتعبير عن فحوى الزمان.

فكرت بالكتابة عنه قبل أعوام , بل وكتبت قصيدة ومقالة , لكني لم أنشرهما , لأنني أتجنب الكتابة عن الأشخاص وأهتم بالظواهر السلوكية والفكرية والأحداث المرافقة لها , وذكرني بحواراتي معه قبل بضعة أسابيع الدكتور عادل الحمادي , فأعطيته نسخة من حوار لي معه قبل عقد من الزمان , ولم أعتز على عدد من الحوارات الأخرى المدونة في أوراق متفرقة.

تجمعني بالأستاذ الراحل علاقة طويلة مشحونة بالتفاعلات المعرفية والحوارات المتواصلة واللقاءات والمهاتفات الدائبة أينما حل وإرتحل , فكلنا نتحدث وهو في أبو ظبي وبغداد وأمريكا , وملتقي ما سنحت لنا فرصة للقاء , وقد تعلمت منه الكثير وأهمني من القيم والمعاني ما ينير ويثير .

منذ الصغر وأنا أسمع إسمه وحديث الناس عنه في مدينتنا , وكبرت ودخلت الكلية الطبية ولايزال إسمه لامعا في العراق على أنه من أشهر وأفضل الأطباء , لكنه أحيل على التقاعد قبل تخرجنا من الكلية الطبية , وما حظيت بمحاضراته أو زيارته لكليتنا.

فلم أكن من طلبته في الكلية الطبية , لكنني أصبحت من طلابه وأقربهم إليه في هذه الحياة التي لا تجمع العقول والأرواح والنفوس مصادفة , وإنما بتقديرات معلومة ومحجوبة , وكان تفاعلي معه منذ دعوته لتأسيس الجمعية الطبية العراقية في أمريكا في تسعينيات القرن العشرين , ومنها إنطلق التواصل , وحالما إتقينا وجدتنا في تلاحم معرفي وأحاديث ذات شجون ومنطلقات ومبتدعات ومشاريع وبرامج وإرادات.

فكنت أجالسه متأملا الروح الشبابية المتدفقة المتأججة بإنسان في العقد الثامن من العمر , وما كنت أعرف عمره لولا أننا كنا ذات مرة في الفندق وإذا في أحد الأوراق تأريخ ميلاده , فإستقهم الموظف عن صحته , فأجاب مازحا: نعم عمري ثمان وسبعين عاما , ألا تصدق ذلك!!

كنت صامتا ومتعلما من هذه الروحية الحية المتوثبة , ومضينا في حينها وكأنني مع شاب متوقد الذهن والفكر , وركبنا التاكسي والميترو وذهبنا إلى المطعم , وعدنا إلى الفندق متأخرين , وما حسبت أني برفقة رجل بهذا العمر , وما توطنني إحساس بذلك.

ذات مرة في لقاء جمعنا بالعاصمة واشنطن , كانت تجول بخاطري أفكار فقدان , فدعوته لأخذ

تجمعني بالأستاذ الراحل علاقة طويلة مشحونة بالتفاعلات المعرفية والحوارات المتواصلة واللقاءات والمهاتفات الدائبة أينما حل وإرتحل

منذ الصغر وأنا أسمع إسمه وحديث الناس عنه في مدينتنا , وكبرت ودخلت الكلية الطبية ولايزال إسمه لامعا في العراق على أنه من أشهر وأفضل الأطباء

أحيل على التقاعد قبل تخرجنا من الكلية الطبية , وما حظيت بمحاضراته أو زيارته لكليتنا.

لم أكن من طلبته في الكلية الطبية , لكنني أصبحت من طلابه وأقربهم إليه في هذه الحياة التي لا تجمع العقول

والأرواح والنفوس صادقة ,
وإنما بتقديرانته معلومة
ومحجوبة

صورة معا , ففاجأني بظرافته المعهودة قائلا : " ما غابتك من الصورة!!"

وفي أعماقي نداء يأمرني بقطع عهد على نفسي أن لا أعاه ذات يوم , لأن أمثاله يأتون للحياة وهم يحملون إرادة الإنتصار على الموت رغم حتميته وشدة قبضته.

فردان باقر

يحمل الوطن في قلبه وروحه وضميره وعقله ويعبر عن كبريائه وعزته وإيائه وحضارته وصورته التي ترسخت في وجدانه , فلا يمكن فصله عن العراق الوطن والأصل والمنبع والهوية والقيمة والقوة والكرامة والغيرة والحمية , فيتكلم ويتصرف بلسان العراق ومعانيه الأخوية الإنسانية المتجذرة في كيانه.

فهو من الجيل الذي لا يعرف وطنا غير العراق ولا قيما غير قيم العراق , الذي يمثل الأرض والحياة والمصير المشترك المتماسك القدير.

وهذا التماهي المطلق بالوطن جعل البعض يسيئون الفهم ويتصورون الحالة على غير ما هي عليه , ويحسبون ذلك نوع من الصفات الأخرى التي لا يعرفها الرجل ولا تعرفه , فهو إنسان فقد وطنه وغادره مضطرا ولا يمكنه أن ينفصل عنه , فحمل الوطن وجعله يعيش في أعماقه وجوهر ذاته , فأصبح وطنا حيا يريد التأكيد على كينونته وهويته ومعاني وجوده الخالدة في جبين العصور وصدور الأزمان.

وهذه حالة يعاني منها المهاجرون الذين يعيش الوطن فيهم بعد أن كانوا يعيشون فيه , وما كان يعبر عنه أستاذنا الراحل هو الصدق والإنتماء المطلق للوطن الذي شيد قامته فيه , وكان يقول "مَنْ أنا لولا العراق" , و"مَنْ نحن لولا الوطن" , "إن العراق هويتنا وقوتنا وذاتنا وموضوعنا".

فردان باقر

الأستاذ النطاسي الرائع الحاذق الخلق المقتدر المتمرس صاحب المهارات التدريسية والخبرات التدريبية المتميزة , التي تجعلك محبا وعاشقا للمادة التي يُدرّسها , بما يمتلكه من روحية التفاعل المعرفي المهبذ الرشيد , الراقي الأخلاقيات والضوابط والثوابت المهنية , التي تؤسس لمعاني ومعايير تساهم في صناعة البنى التحتية الراسخة لنهضة علمية رصينة ذات أدوار حضارية لامعة.

فهو أستاذ أخلاق وأعراف وتقاليد علمية طبية مستوحاة من أفكار أساطين الطب في تاريخ البشرية , وكان جادا ومجتهدا في العمل بموجب الأخلاقيات الطبية السليمة النزيهة , مما تسبب له بمشاكل كثيرة مع جهات متنفذة ومسؤولين في الدولة , تحمل نتائجها وما ترحزح عن مبادئه وقيمه وتقاليد العلمة الراجعة الصادقة.

يقول لي كنت أقف مدافعا عن المعايير والقيم العلمية ولا أسمح بتجاوزها والعمل بغيرها , ولهذا فأتهم حاربوني وواجهوني بالمنغصات والتحديات , لكنني أشعر بالقوة والسعادة والرضى لأنني ما حدث عن مبادئ وثوابتي الأخلاقية في تعليم وممارسة مهنة الطب.

ويتمثل أمامي كمجاهد أخلاقي ناضل بإصرار وصلابة للذود عن القيم والمعايير والأخلاقيات المهنية للطب في العراق , ولديه مواقف مشهودة وأبية.

كنتُ أجالسه متأملا الروح
الشبابية المتدفقة المتأججة
بإنسان في العقد الثامن من
العمر

يحمل الوطن في قلبه وروحه
وضميره وعقله ويعبر عن
كبريائه وعزته وإيائه وحضارته
وصورته التي ترسخت في
وجدانه

هو إنسان فقد وطنه وتآخره
مضطرا ولا يمكنه أن ينفصل
عنه , فحمل الوطن وجعله يعيش
في أعماقه وجوهر ذاته ,
فأصبح وطنا حيا يريد التأكيد
على كينونته وهويته ومعاني
وجوده الخالدة في جبين
العصور وصدور الأزمان

هذه حالة يعاني منها
المهاجرون الذين يعيش
الوطن فيهم بعد أن كانوا
يعيشون فيه

فردمان بأقـر

يستحق وبلا منازع لقب "أبو الطب" العراقي , قد يقول مَنْ يقول ما يقول , لكني لم أجد مَنْ لا يقول خيرا فيه إلا من ذوي العاهات النفسية , والمشاعر السلبية التي تصف الآخرين بما يحلو لها من الوصف , أي تراهم وفقا لما فيها من المشاعر والعواطف التي لا تريد أن ترى أحدا أفضل أو أحسن منها , فتحسب أنها المقياس لتقدير جودة الآخرين وتوصيفهم.

أما الذين يتفاعلون بموضوعية وواقعية وصدق وحكمة فأنهم يرونه "أبو الطب" العراقي , وعلم خفاق في ميادين التعبير عن العلوم الطبية العراقية , ورمز يدعو للفخر والتقدير والقول الجميل.

ومن الواضح أن العراقي لا يتباهى بالعراقي ولا يفخر به , وإنما يرى نفسه وحسب!!

فردمان بأقـر

كان يتفاعل معي بروحية الأب الرحيم الذي يتمنى النجاح والتقدم لأبنائه , وكانت هذه الروحية تسود وتطغى على تعامله مع جميع الزملاء , لكن أكثرهم ربما لا يراها كذلك , لأنهم يحسبون أنفسهم كما يشاؤون ويتصورون , وهذا التقاطع ما بين الحالتين تسبب ببعض الخلافات والتداعيات بالعلاقات في ميادين ونشاطات متنوعة وخصوصا في (إمسا)(الجمعية العراقية الأمريكية للعلوم الطبية) , والتي كان متأثرا بما آلت إليه الأمور فيها في كثير من الإجتماعات , وهو مؤسسها والساعي بدأب لإنشائها وديمومتها.

وكان يبيث شكواه عن مواضيع تتعلق بالجمعية , التي ما تمكنت من النمو والتطور والإنطلاق كباقي الجمعيات , فبقيت تراوح بأعداد أعضائها , وما إرتقت إلى آفاق رؤيته.

لكنه يتناسى ويسامح ويتمنى أن يتحقق النماء والتطور والرقاء , وما غايته من طلباته ومقترحاته إلا لوضع الثوابت وترسيخ القيم والأخلاقيات , التي تساهم في البناء السليم والتواصل القويم , وكثيرا ما كان لا يسمح بنشر ما يبوح به فيما يتعلق بالجمعية , ويقول لا بد للإنسان من التعبير عما فيه أحيانا.

وقد تأثرت كثيرا بمعاناته في الجمعية وكم ألمني حديثه ذات مرة وقد ترققت الدموع في عيني , وهو يعترف ببعض الإجراءات التي كان عليها أن لا تتخذ.

فالجمعية كانت النبتة التي أحبها وبذرها وتعهدا بالرعاية والتوجيه حتى تبرعت وربت , لكن بعض أغصانها جفت وأوراقها تساقطت , ومع ذلك مضى يرقبها ويحنو عليها , ويسجل حضوره فيها بصبر وأناة , وما منعه من ذلك حالته الصحية الصعبة وبُعد.

فردمان بأقـر

الحكيم العالم الذي كان طبيبا لحكام العراق وكبار رجالاته وعوائلهم , ومن أكثر الأطباء قربا من بعضهم , حتى صار مستهدفا من الآخرين , فبشخصيته العلمية فرض وجوده على القادة والمسؤولين في العراق والدول العربية الأخرى , فهو دائما الطبيب المفضل للرؤساء والأمراء , وكانت عنده خبرة سلوكية فائقة في التعامل معهم ومعالجتهم وجعلهم يرضخون لإرشاداته وتوصياته الطبية ,

كان يقول "مَنْ أنا لولا العراق" , و"مَنْ نحن لولا الوطن" , "إن العراق هويتنا وقوتنا وذاتنا وموضوعنا".

كان جادا ومجتهدا في العمل بموجبه الأخلاقيات الطبية السليمة النزيفة , مما تسبب له بمشاكل كثيرة مع جهات منتهزة ومسؤولين في الدولة , تحمّل نتائجها وما تدرج عن مبادئه وقيمه وتقاليد العلمة الراجعة الصادقة

يقول لي كنت أفتحه مداخعا عن المعايير والقيم العلمية ولا أسمع بتجاوزها والعمل بغيرها , ولماذا فأنهم حاربوني وواجهوني بالمنغصات والتحديات , لكنني أشعر بالقوة والسعادة والرضى لأنبي ما حدثت عن مبادئ وثوراتي الأخلاقية في تعليم وممارسة مهنة الطب

يستحق وبلا منازع لقب "أبو الطب" العراقي , قد يقول مَنْ يقول ما يقول , لكني لم أجد مَنْ لا يقول خيرا فيه إلا من ذوي العاهات النفسية ,

والمشاعر السلبية التي تصفه
الآخرين بما يخلو لها من
الوصف

الحكيم العالم الذي كان
طبيباً لحكام العراق وكبار
رجالته وعوائلهم ، ومن أكثر
الأطباء قرباً من بعضهم ، حتى
صار مستهدفاً من الآخرين

فردان باقر

مضى طبيباً جسوراً وقوراً ناصحاً ومرشداً ومعلماً ، وما ترجل عن مشروعه التربوي التعليمي
ورسالته الطبية ومنطلقاته وثوابته الأخلاقية ، بل عمقها وطورها وأضفى عليها المزيد مما تعلمه من
تجاربه وخبراته المتجددة ، وبقي الطب مهنته وروحته وعشقه وغايته والقيمة التي منحت حياته
المعاني والأوصاف التي يفخر بها ويرعاها.

وكان يمارس الطب في عيادته في كاليفورنيا حتى بداية القرن الحادي والعشرين ، ومن ثم مضى
في الإمارات طبيباً لأمرائها ومستشاراً متمرساً ينير بخبراته فضاءات المشاريع والجمعيات
والمؤسسات ، والبرامج الطبية الهادفة للشفاء وتطبيب المعاناة المرضية ، وما أغفل رسالته العلمية في
وطنه فساهم في النشاطات التدريسية والتأسيسية للمشاريع الكفيلة بتحقيق مستقبل أفضل للطب في
العراق.

فردان باقر

الصديق الطيب الوفي الذي يعز الصداقة ويرعاها ويهتم بها ، وكان معي أباً وصديقاً وزميلاً
ومحباً وطيباً وراعياً ومشجعاً ومؤازراً ومتسائلاً ، وكنت أسترشد بأرائه وأسأله في أمور متنوعة ،
فيبدو مسروراً في إبداء الرأي وإعطاء المشورة ، وكان صدره رحباً وسعادته غامرة وهو يجيب على
أسألتني ، وكانت آراؤه ذات قيمة ودور في عدد من القرارات التي إتخذتها في مواضيع طبية ونشاطات
أخرى في ميادين الجمعيات الطبية العربية والعراقية.

فهو إنسان بأصدق ما يكون عليه الإنسان ، يسأل عنك إن لم تسأل عنه ، ويعاتيك بقوة ، وذات يوم
إتصل بي معاتباً لعدم سؤالي عنه ، وهو يقول: لا تسألون عني وكنت أعاني من ألم شديد في الظهر ،
لكنه أرفها مازحاً وبمعنوية عالية ليؤكد أنه كان في إحدى دول الخليج.

ويتمتع بتواضع العلماء وبساطتهم ، وما وجدته مذاحاً لنفسه أو مغروراً ومتكبراً ، وإنما يرى أنه
كان محظوظاً بعض الشيء ، فالحظ يلعب لعبته بمسيرة الأفراد في أكثر الأحيان ، كما كان يقول.

ورغم مرضه في سنواته الأخيرة لا ينسى ويعبر عن الوفاء ، ووجدته يبعث بمواساته عند وفاة
والدتي وهو في محنة صحية ، فأكبرت ذلك وثمرته ، فهو الإنسان الوفي النبيل الذي يفيض بقيم
وأخلاق سامية طيبة.

مضى طبيباً جسوراً وقوراً
ناصرًا ومرشداً ومعلماً ، وما
ترجل عن مشروعه التربوي
التعليمي ورسالته الطبية
ومنطلقاته وثوابته الأخلاقية ، بل
عمقها وطورها وأضفى عليها
المزيد مما تعلمه من تجاربه
وخبراته المتجددة

كان يمارس الطب في عيادته
في كاليفورنيا حتى بداية
القرن الحادي والعشرين ،
ومن ثم مضى في الإمارات
طبيباً لأمرائها ومستشاراً
متمرساً ينير بخبراته فضاءات
المشاريع والجمعيات
والمؤسسات

ولا أريد التطرق إلى جميع الحوارات والتواصلات واللقاءات بيني وبينه , ولكن سأشير إلى ما أعتز به وهو إصراري معه على الكتابة عن تأريخ الطب عبر مشاهداته , وأن يقوم بتدوين مسيرته الطبية في العراق , لأنه شاهد بارز ومتميز , وفي بدايات أحاديثنا كان يتعذر بأنه ربما لا يحسن الكتابة الجيدة , وحينها بدأتُ أكتب على لسانه , وبدأنا بمشروع الحوارات المدونة , ولكثرة الإلتزامات وظروف العمل وبُعد المسافة بيننا صرنا نتهايف أسبوعيا , ويبدو أنه إستساغ الفكرة وبدأت القناعة تنمو عنده بتنفيذها , فكانت مهاتفاتنا لا تتقطع أينما حل ورحل , وبعد محاولات ومحاولات , نضجت الفكرة وتوقد الحماس , وفتحت أبواب أخرى ووسائل أسهل , فكانت الثمرة التي فرحتُ بها وسعدت كثيرا , كتابيه عن تأريخ الطب (حكيم الحكام... وتأريخ الطب المعاصر...), وكان يهاتفني ويحدثني عن صدور الكتاب ويرسل لي نسخة منه , وفي كتابه الأول على ما أذكر أشار إلى أن الناشر قرر إعادة طبعه لوجود بعض الأخطاء , وقد قدمت عرضا لأحدهما في النشرة الدورية للجمعية عندما كنت رأس تحريرها.

فردان باقر

نفقده اليوم كقدوة طبية علمية مؤثرة وملهمة للأجيال , فهو من أعلام الطب العراقي في القرن العشرين , وقامة شامخة بقيمها وأخلاقيها المهنية , وإرادتها الجادة في إحداث التغيير المعرفي , وتأكيد المواكبة العلمية والإبداع الطبي المتميز .

فردان باقر

الأستاذ الأب الزميل الصديق الإنسان الذي لا أنعاه كما عاهدت نفسي لكنني أذكره بفخر ومحبة وإعتزاز , وأستعيد أوقاتنا الثرية معا ومكالماتنا الأبوية الأخوية الرائعة المؤطرة بفيض المعاني والأفكار والتجارب الغنية بالفوائد العملية , وهي تنطلق مناسبة من أعماق إنسانٍ تمثل الطب فيه , وصار موسوعة طبية مختصرة تفيض بعلمه وأخلاقاته المهنية السامية.

فردان باقر

الذي سيرتُ أغواره , وتفاعلتُ معه , وتمتعتُ ببوحه الإنساني الأخاذ , فيه التقيت بإنسانٍ نادر متميز بالمكنون الأخلاقي والقيمي والمعرفي , وتتورتُ بإلهاماته النادرة التي أغنتني عن ألف كتاب وكتاب , فأعظم كتاب أقرأه هو الإنسان , فكان أبلغ ما قرأتُ وأروع ما وعيت , فهو ينبوع علم وشلال معارف وذخيرة تجارب وخزين خبرات , ومنطلقات أمل وتألُق وعنوان فضاء.

وأجدني من المحظوظين الذين عرفوا من سلاف هذا المعين الإنساني الدفاق بزال المعاني السامية والخلق الرفيع والأنوار العلمية الوهاجة الأفاضل.

فردان باقر

نم قدير العين في الثرى , فمبادؤك وقيمك وأخلاقك المهنية يحملها العديد من تلاميذك والمتأثرين بمسيرتك المتحدية الراجحة.

يتمتع بتواضع العلماء وبساطتهم , وما وجدته مدًا حًا لنفسه أو مغرورا ومتكبرا , وإنما يرى أنه كان محظوظا بعض الشيء , فالخط يلعب لعبته بمسيرة الأفراد فهي أكثر الأحيان , كما كان يقول

نفقده اليوم كقدوة طبية علمية مؤثرة وملهمة للأجيال , فهو من أعلام الطب العراقي في القرن العشرين , وقامة شامخة بقيمها وأخلاقيها المهنية , وإرادتها الجادة في إحداث التغيير المعرفي

أعظم كتابه أقرأه هو الإنسان , فكان أبلغ ما قرأتُ وأروع ما وعيت , فهو ينبوع علم وشلال معارف وذخيرة تجارب وخزين خبرات , ومنطلقات أمل وتألُق وعنوان فضاء

نم قدير العين في الثرى , فمبادؤك وقيمك وأخلاقك المهنية يحملها العديد من تلاميذك والمتأثرين بمسيرتك المتحدية الراجحة

وهذا بعض وفاءٍ لعلمٍ تقاعلت معه وتعلمت منه وتأثرت به ، فتحية لمسيرته الثرية ، وإن توسد الثرى ،
فكل من عليها فان ، ولأهله وذويه ومحبيه ، أخلص التعازي ، وألهمهم الخالق العظيم الصبر والسلوان .
فهل أوفيتُ بعهدي يا أستاذنا الجليل ، فأنا أذكرك ولا أنعاك!!

هل أوفيتُ بعهدي يا أستاذنا
الجليل ، فأنا أذكرك ولا
أنعاك!!

*** **

المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة هي علوم وطب النفس

العدد الأخير 54-55 (صيفه & خريفه 2017)

- الملحق: توطين العلوم النفسانية

- المشرفة على الملحق: الغالي أحرشاهو (المغربي)

عدد خاص بمناسبة ذكرى فاجعة اختفاء البروفيسور عمر هارون الطيفة (الحادى الله سليما معافى)

رابط شراء العدد

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=307&controller=product&id_lang=3

الفهرس و الافتتاحية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=308&controller=product&id_lang=3

<http://arabpsynet.com/apn.journal/apnJ54-55/apnJ54-55-Content.pdf>

الملخصات

<http://arabpsynet.com/apn.journal/apnJ54-55/apnJ54-55.HTM>

ملحق العدد

التحميل من المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=309&controller=product&id_lang=3

التحميل من شبكة العلوم النفسية العربي

www.arabpsynet.com/Documents/apnJ54-55Annexe.pdf

ملفات الأعداد القادمة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf>

روابط ذات صلة

قواعد النشر بـ " المجلة العربية " نفسانيات "

www.arabpsynet.com/apn.journal/APNjournalNotice.htm

المجلة العربية " نفسانيات " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?category=24&controller=category&id_lang=3

المجلة العربية " نفسانيات " على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

المجلة العربية " نفسانيات " على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Ajpns/>

بوستر المجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي / المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com> / <http://www.arabpsynet.com/>

اشترائات الدمم في ادارات الشبكة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3